واوسعنا على كافروفيرنا على كافر آخر وبين سبحانه وتعالى وجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال تعالى في سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض درجات تنبيه كيف نصب اما على التشبيه بالظرف واما على الحال وهي متعلقة لانظر بمعنى فكر وابصر ولما نبه تعالى على ان ما نراه من التفضيل انما هو بعض قدرته اخبر على ان ما بعد الموت كذلك بقوله تعالى ولدار الآخرة اكبر اي اعظم درجات واكبر تفضيلا من درجات الدنيا ومن تفضيلها فاذا نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب الآخرة فضيلة الدنيا فان تقوي رغبته في طلب الآخرة اقوى كما نادار المقامة روي ان قوما من الاشراف فمنهم ابو سفيان اجتمعوا بباب عمر رضي الله تعالى عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال لهرميل بن عمرو انما اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وملد اباب عمر ذكيف التفاوت في الآخرة ولما بين تعالى ان الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط ومنهم اهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله وهم اهل الثواب شرط في ذلك ثلاثة شروط فصل تلك الجملات وبداء اولا وهو شرح حقيقة الايمان واشرف اجزاء الايمان هو التوحيد ونفي الشرك والاضداد بقوله تعالى لا تجعل مع الله اي الذي له جميع صفات الكمال الها آخر قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والاول انه للانسان فيكون خطابا عاما لكل من يصح ان يخاطب به فتقعد اي فتستجب عن ذلك ان تفقد اي تصير في الدنيا قبل الآخرة مذموما مخذولا لان المشرك كاذب والواجب يستوجب الذم والخذلان ولانه قد ثبت بالدليل ان لا اله الا مدبر الا الله تعالى فحينئذ تكون النعم حاصلة من الله تعالى فمن اشرك بالله فقد اضاف بعض تلك النعم الى غير الله فاستحق الذم والخذلان تنبيه قال الواحدي قوله تعالى فتقعد انتصب لانه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانتصاب باضمار ان كقولك لا تقطع عنا فتحفوك والتقدير لا يكن منك انقطاع فيحصل اذ تحفوك فما بعد الفا منعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفا وانما سماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزا وان الثاني مسبب عن الاول كما تقرر ولما ذكر تعالى ما هو الركن الاعظم في الايمان اتبعه بذكر ما هو من شعاير الايمان وشرايعه وذلك انواع الاول ان يشتغل الانسان بعبادة الله ويحترز عن عبادة غيره وهذا هو المراد بقوله تعالى وقضى اي امر ربك اي المحسن اليك وقوله تعالى ان لا تعبدوا اي انت وجميع اهل دعوتك وبهم جميع

الناس

الا اياه فيه وجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله تعالى فكان هو المستحق للعبادة لا غيره تنبيه روي ميمون عن مهران عن ابن عباس انه قال في هذه الآية كان الاصل ووصى ربك فالصقت احدى الواوين بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضا ما عصى الله احد قط لان خلاف قضا الله ممتنع وهذا القول كما قاله الرازي بعيد جدا اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين ويتدفع بما سنقرره قضى به ولما امر تعالى بعبادة نفسه اتبعه بالامر ببر الوالدين بقوله تعالى وبالوالدين اي واحسنوا اي اوقعوا الاحسان بهما احسانا اي بان تبروهما ليكون الله معكم فانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون تنبيهان احدهما المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى والامر ببر الوالدين من وجوه الاول ان السبب الحقيقي لوجود الانسان ليس الا خلق الله تعالى وايجاده والسبب الظاهر هو الابوان فامر الله تعالى بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهري الثاني الثاني ان الموجود اما قديم واما حادث ويجب ان يكون معاملة الانسان مع الموجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع الحدث باظهار الشفقة والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واحق الخلق بالشفقة الابوان كثيرة هو انعام بما على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه هو اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله تعالى وبالوالدين احسانا الى الشفقة على خلق الله الثالث ان الاشتغال بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعما عليك ومشكره ايضا واجب لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد من الخلايق نعمة على الانسان مثل الابوين لان الولد قطعة من الوالدين قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا شفقة الوالدين على الولد عظيمة وايصال الخير الى الولد منهما امر طبيعي واحتراز هما عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب ان تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي اكثر من كل نعمة تصل من الانسان الى الانسان وايضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين في ذلك الوقت واصلة الى الولد واوقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيما وايضا فايصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان فيه الانعام تم واكمل فثبت بهذه الوجوه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)